

العنجهية والجهل

الجهل هو ضعف التعليم وقلة المعرفة بشكل عام، أو انعدام المعرفة بشيء محدد بعينه، ما يعني أن من الممكن أن يعلم الإنسان بعض الأشياء جيداً، ويجهل بعضها الآخر كثيراً. أما العنجهية فهي النظر إلى الآخر نظرة دونية، والتصرف بشكل استعلائي لا يحترم الآخر ولا يعترف بما له من حقوق، ولا بما قد يكون لديه من مواهب وقدرات خلاقة، وذلك بسبب ما يتصف به العنجهي من جهل. وتعكس العنجهية شخصية غير واثقة من نفسها، وغير متأكدة من صواب موقفها، مع الشعور في ذات الوقت بأنها تملك ما يكفي من أسباب القوة للحصول على ما تريد. أما مصدر تلك القوة فهو إما قوة العنف العسكرية التي لا تعرف غير التهديد والدمار، أو قوة المال المادية التي لا تعرف غير الابتزاز والاستغلال. ولما كان المال لا يملك عقلاً والسلاح لا يملك ضميراً، فقد أصبح العنجهي إنساناً غيباً يتصرف في غياب العقل والضمير. من ناحية أخرى، إن ضعف شخصية وعلم العنجهي يدفعه إلى عدم الثقة بمن يتعامل معهم من الناس، لأنه يدرك أنهم يعرفون حقيقة ما يعانيه من نقص، ما يجعل العلاقة بين الطرفين تقوم على عدم الثقة.

ويمكن القول بوجه عام أن العنجهية تنتشر بين الشعوب التي حصلت على ثروات مادية من دون أن تبذل جهداً يذكر في سبيل الاستحواذ على تلك الثروات، لأن الثروات كانت عبارة عن كنوز كانت مخبأة في باطن الأرض كالبتروال والذهب والغاز الطبيعي، وغيرها من مصادر طاقة ومعادن نفيسة. ولما كانت القلة دوماً تستحوذ على معظم الثروة في كل مجتمع، فإن العنجهية تتركز بين أصحاب رؤوس الأموال الذين لم يحصلوا على قدر موازي من العلم والمعرفة والثقة بالنفس. ومن الدول التي تشيع العنجهية في مجتمعاتها الدول المصدرة للنفط عامة، لأن تلك الدول حصلت على ثروات كبيرة خلال فترة زمنية قصيرة من دون أن تبذل جهداً يذكر، فيما كانت شعوبها تتصف بالجهل بسبب انخفاض مستويات التعليم. وهذا يعني أن ذلك النوع من العنجهية يقوم على الجهل العلمي وقوة المال التي تفتقد أخلاقيات والقيم الإنسانية.

من ناحية ثانية، تنتشر العنجهية في المجتمع الأمريكي، وبالذات بين أصحاب المناصب العليا في الدولة والجيش وأجهزة المخابرات ورجال السياسة والإعلام؛ كما تنتشر بين الأمريكيين البسطاء الذين ينحدرون من أصول أوروبية ويتصفون بقلّة العلم وضعف المعرفة بالتاريخ، ما يجعلهم يعتقدون أن من ينحدر من أصول إفريقية وآسيوية ولا تينية يقل ذكاء وإنسانية عنهم. وفيما يملك أصحاب المناصب العليا عادة قدراً كبيراً من العلم إلى جانب قوة السلاح والإعلام وتاريخ حافل بالعنف والكذب والخداع، يملك

السطاء قوة العنصرية وتاريخ أمريكي حافل بالتفرقة ضد الآخر. من ناحية أخرى، يفتقد جميع هؤلاء المعرفة الحقيقية بثقافات الشعوب المختلفة وتاريخها وكيفية التعامل معها بأساليب سلمية حضارية.

حين يشعر العنجهي الأمريكي الذي يملك قوة السلاح بأن من الصعب عليه أن يحصل على ما يريد بطرق سلمية، فإنه يتجه عادة إلى العنف مُستخدماً ما لديه من سلاح، يقتل ويدمر ويكذب ويزيف الحقائق وينام مرتاح الضمير، لأنه لا يشعر أن من يقتلهم بشر مثله يستحقون أن يعيشوا حياتهم أحراراً. أما العنجهي البسيط فيلجأ عادة إلى الكراهية والحقد والتفرقة ضد كل من ينحدر من اصول غير أوروبية يشعر بأنه يتفوق عليه ذكاء أو معرفة أو حكمة.

إن طريقة تعامل أمريكا مع العراق في عهد جورج دبليو بوش تعطي مثلاً جيداً لعنجهية الأمريكي الذي يملك قوة السلاح والعنف، وكيف تقود العنجهية إلى نتائج كارثية تدمر الشعب المستهدف من دون أن تحقق الهدف المنشود. إذ فيما استطاع بوش وجيشه تدمير العراق وتمزيق النسيج الاجتماعي والثقافي للشعب العراقي وقتل ملايين العراقيين، خسرت أمريكا مئات البلايين من الدولارات على حرب فاشلة، إضافة إلى موت آلاف الأمريكيين وإصابة الكثير من الجنود بعاهات جسدية وعقلية، وفقدان قدر كبير من المصادقية على الساحة الدولية. وهذا يعني أن العنجهية التي تجمع بين الجهل وقوة السلاح بإمكانها أن تُحوّل رجل الدولة الذكي وقائد الجيش الشجاع إلى إنسان أهوج يتصرف بغباء يعود على بلاده بأسوأ النتائج. إن غباء العنجهية تسبب أيضاً في تدهور علاقات أمريكا بألمانيا، إذ بعد عمليات رصد مكالمات المستشار الألمانية انجيلا ميركل لسنوات، اكتشفت ألمانيا في شهر يوليو عام 2014 أن أمريكا تتجسس رسمياً عليها، ما دفع الحكومة الألمانية إلى طرد رئيس جهاز المخابرات المركزية (سي أي إيه) في برلين.

وكما أوضحنا سابقاً، يتصرف العنجهي عادة بغباء، على الرغم مما قد يتمتع به من علم ومال ومكانة أدبية، لأنه يتصرف في غياب العقل والضمير، ومن يتصرف في غياب العقل والضمير يميل بطبعه إلى الخداع واحتقار الغير، لأنه يعتبرهم أقل مكانة وإنسانية منه. وهذا يجعل كل عنجهي إنساناً غير سوي، لا يُؤمن على شيء، ولا يجوز أن يتخذ الناس صديقاً، لأنه يبحث دوماً عن ضحايا وليس عن أصدقاء.

الجهل يشجع الجاهل عادة على التواضع بسبب عدم قدرته على منافسة الغير ومقارعتهم، لكن قوة المال والسلاح تُمكن الجاهل من ابتزاز الغير والاعتداء عليهم ومصادرة حقوقهم. ولما كان المال والسلاح يحتاج إلى عقل يديره وضمير يوجهه، فإن العقل الجاهل لا يعرف حكمة الدهر ولا يعترف بها، والضمير الغائب لا يعرف الأمانة أو الصدق، ما يجعل العنجهي عدو نفسه وعدو من يتعامل معهم من البشر.